حوارفي حاضر المشهد التشكيلي العراقي:

قاعات عرض مسورة بأسلاك شائكة وفنانون يحتفظون بالأمل

على الفنان ان يكتشف معالم ثقافة جمالية وفنية جديدة

ادار الحوار: سعد القصاب

نرغب في مؤسسة فنية ، مهنية ، حرة ، وغير منحازة

هموم الفنانين التشكيليين ليست بمنأى عن هموم العراق، لقد تعرضوا للوجع نفسه فقد دمر ونهب مركز الفنون الذي طالما تجولوا في أروقة متأملين اعمال اساتذتهم، وفي وقت اصبحت فيه حتى قاعات العرض التي شهدت معارضهم محاطة بجدران من الخرسانة والاسلاك الشائكة. مشهد لا يخلو من الأسى.. لكن يبقى للفنان العراقي ذلك الفضاء الخلاق والرغبة الحميمية لاعادة البناء وفق تاريخ من الجمال والتفرد.

تفتح "المدى" ملف "المشهد التشكيلي العراقي" رغبة منها في تفعيل مكوناته والتبشير بتميزه، وعبر سلسلة حوارات مع فنانين ما زالت تجاربهم تثير التأمل.

في ظل غياب المتحف الوطني، ووجود قاعات عرض محاطة بدعامات واسلاك شائكة، وفي ظل واقع اجتماعي وسياسي كثير الاضطراب والفوضى، كيف تنظرون إلى المشهد التشكيلي وواقع الفن العراقي الآن؟.. هل يمكن تقييمه على ضوء الاختلالات الحاصلة ومعاكستها لدور الفنان وحضور منجزه وفضاءه الثقافي؟.

كريم رسن: ما قبل الاحتلال وطبيعة الظروف التي كنا نحياها، كان هنالك تراجع لحق بالحركة التشكيلية، بدأ من المؤسسة الفنية وطبيعة تعاطيها مع خصوصية الفن العراقي. لقد كان تعاملها مع الفنان لاغراض ترويج ثقافة سياسية للنظام، وبعد انتفاء الحاجة رفع النظام يده عنها واصيبت بشلل تام. أمام هذا التدهور، ظهرت القاعات الأهلية التي كانت بديلاً ومعيناً للفنان في تأكيد تجاربه الابداعية، وبفعل دورها المحايد الذي اختلف تماماً عن الدور المنحاز الذي انتهجته المؤسسة الرسمية. ولكن حجم الاحداث التي جرت بعد دخول قوات الاحتلال الامريكي، ساهمت بطريقة مضاعفة في خراب المشهد الثقافي والفني، حيث لم يبق هنالك ذلك الحضور المرجو لا للفنان ولا لمنجزه.

من هنا كيف علينا ان نقيم وننظر إلى المشهد التشكيلي، هل من خلال واقع تم ذكره..؟، أم بدافع ما يحصل الآن..؟

افترض بدءاً، أن ما لحق بنا وما اصابنا كان شيئاً خطراً جداً، حيث غابت خلاله معالم كثيرة، من هنا، علينا كفنانين أن نظهر معالم حديثة أخرى لثقافتنا. انني ارغب بتقييم المشهد التشكيلي بدافع رؤية اكثر فاعلية، ابرزها، مشكلة الموقف من الاحتلال والارهاب والفوضى وارى ان يكون للفنان دور اكثر حيوية ومشاركة لغرض النهوض بثقافة فنية وجمالية جديدة. ان الكثير من المؤسسات العربية والأوربية ترغب تماماً ان ترى تجربة الفنان داخل العراق، وكيفية تعاطيه وتعبيره عن هذه المحنة العصيبة التي يمر بها بلده وشعبه، ان يعكس طبيعة مثل هذه التحولات في التجربة الفنية، باعتبارهما معاً، موضوعاً انسانياً شديد الاستثناء، من هنا علينا التأكيد على طروحات ومواضيع فنية ووسائل اخرى، تكشف حجم هذه الاشكالية سواء في بعدها الاجتماعي أو السياسي، وهي مهمة مطلوبة من قبل الفنان، وعليه القيام بها.

ماهر السامرائي: بداية ارغب الاجابة عن سؤال كهذا من خلال ملاحظاتي عما قد حصل في "كلية الفنون الجميلة" بوصفي احد تدريسييها، ليس في الوقت الحاضر تحديداً، ولكن منذ سنوات الحصار وما قبل عقد من السنين، لم تعد هناك مناخات اكاديمية حقيقية تساعد طالب الفن على الاستمرار والعمل والانجاز، مما ادى إلى عدم التحاق طلبة موهوبين بكليات ومعاهد الفنون، وحتى القلة من الجيدين منهم هجر الدراسة في الاقسام الفنية، بسبب تأثير الجانب الاقتصادي على الطالب. حالة الاحتلال فاقمت ايضاً مثل هذا الامر، من المؤسف، اننا نلاقي صعوبة واضحة في رعاية مواهب فنية لغرض اعدادهم كفنانين في المستقبل..!

كريم سيفو: لا أستطيع القول بأننا قادرون الآن على تقييم المشهد التشكيلي العراقي وتعيين ملامحه بدقة، ما حصل لنا كان اشبه بزلزال اطاح بكل شيء، كيف علينا ان نقيم مشهداً يفتقر لمكوناته، وعدم وضوح دور المؤسسة الفنية، وقاعات عرض معطلة عن إقامة نشاطات ومعارض فنية بسبب الظروف الصعبة التي نمر بها جميعاً، وتركة النظام السابق حجبت عن الفنان تأكيد دوره الابداعي والاجتماعي والمعنوي، مثل هذه الاسباب مجتمعة تعيق من تنظيم مشهد فاعل وحيوي يدعو لرؤية فنية عامة واضحة المعالم.

أرى اننا في حاجة لمدة زمنية مناسبة، لغرض تقييم ورصد هذا المشهد، فكل ما حولنا الآن، معطل أو تم تخريبه، والفنان العراقي، مرتبط أشد الارتباط بوطنه، بحالته السياسية وفاعليته الاجتماعية، كيف له امام إحباطات عديدة ان يكون مشاركاً في تعيين واقع جمالي ويديم حالة من التعبير في ظل ظروف غير واضحة المعالم.

كريم رسن: ارغب في القول، ان الفنان كائن له اهميته ودوره الشديد الخصوصية، سواء في الواقع الاجتماعي او السياسي او الثقافي، ان الامر لا يتعلق فقط بإقامة معارض شخصية في هذه القاعة او تلك، أو حتى داخل العراق تحديداً، لا يمكن قياس التجربة على اساس كهذا، كثير من الفنانين العراقيين يقيمون في الوقت الحاضر معارض في دول عربية أو أوربية، هؤلاء جزء فاعل من المشهد التشكيلي ونتاجهم هو من صلب فاعلية الفن العراقي ونوعه، المهم في نظري طريقة التعبير والمواضيع والافكار التي تؤسس لخصوصية المشهد التشكيلي. ما زالت هنالك تجارب فنية مزوقة تعرض، لا يعنيها اي شيء، ويبدو إنها لم يعنها ما أصاب العراق. ليس هذا هو المطلوب على اية حال، المطلوب هو كيف لنا ان نعين مشهد ونقيمه بالعلاقة مع ما هو حاصل وما حصل، وان نغذي فيه الافكار والمواضيع حتى يكون حيوياً ومؤشراً في إعادة تشكيل طروحات جديدة للفن العراقي، تضاهي ما قد حصل في أوربا بعد الحرب العالمية الثانية. من خلق حركات فنية وثقافية كان لها دور مهم في تأسيس ثقافة وإبداع جديدين.

طرح كهذا يحيلنا إلى تطلع الفنان للمشاركة والظهور ليس محلياً بل عربياً وربما ابعد من ذلك، هل تجدون ان تجاربنا واتجاهاتنا الفنية، ما زالت تحتفظ بتميزها، خاصة بعدما تعرضنا له من قحط فني وثقافي منذ نحو ربع قرن من الزمن..؟

ماهر السامرائي: خصوصية التجربة الفنية نابعة من كونها تجربة ذاتية، بمعنى أنها قادرة على المناورة تجاه اي تأثير سلبي ومقصود. الفنان العراقي ما زال قادراً على طريقة تعبير وصناعة تجربة متميزة، هذا ما تم ملاحظته من عديد المعارض الشخصية أو الجماعية خلال السنوات الماضية، على الرغم من قلة اطلاع الفنان على ما يجري من تحولات وتجارب وطروحات فنية في العالم ما زالت الحركة التشكيلية في العراق فاعلة وقائمة لغرض انتاج وصناعة رؤية معاصرة، وحتى مثل هذه الظروف المؤذية التي نحياها بوجود الاحتلال الامريكي، باستطاعة الفنان العراقي ان يتمثلها ويعيد انتاج رؤية تضاهي ما حصل بعد الحرب العالمية الثانية في أوربا، وان يبتكر اتجاهات فنية غير مسبوقة، ليس في هذا الوقت، ولكن، ربما في سنوات قليلة قادمة. ليس الامر تكهناً، ولكن اتحدث بخلفية ايماني بقدرة الفنان العراقي الذي استطاع ان يكون دائماً حيوياً ومتطلعاً في اصعب الظروف وحالة "الحصار" مثال على ذلك.

ولكن علينا ان نعيد تنظيم استعدادنا للاطلاع على ما يدور في الساحة الفنية في العالم، يجب ان تكون هنالك بعثات وايفادات لطلبة الفن والفنانين من قبل المؤسسة الاكاديمية والفنية، كما ان على الفنان ان يقلل من اعتماده على المؤسسة الرسمية، وان يكون مثابراً، ويمضي بمفرده، ليشارك في المعارض الدولية، والسفر إلى بلدان اخرى لغرض الاطلاع والمشاهدة. في الوقت نفسه علينا ان ندعو باتجاه اقتناء الفن العراقي وتجميع مخزون وافر منه، ذلك المخزون الذي تم اقتناء افضل تجاربه في سنوات سابقة، ومن ثم طالته يد التخريب لتهريبه وسرقته. انني اسمع عن جماعات فنية ترغب في اعادة حضورها الفني وجماعات اخرى هي الآن في صدد التأسيس، وفنانون يأملون عرض تجاربهم حتى في هذا الوقت.

هنا، ارغب في طرح سؤال: لماذا ظل الفنان العراقي مبتعداً عن تمثل تجارب طليعة معاصرة، او ما نستطيع تسميتها بفنون ما بعد الحداثة، أو لماذا ظل هذا الفن رهيناً عند عتبة الحداثة، والبقاء ضمن العمل الفني التقليدي، لوحة الحامل، النحت باستخدامات مواد وسيطة شائعة، وحتى الخزف كذلك..؟

كريم رسن: في رأيي، ان التجربة التشكيلية تعتمد على نوعين من الاكتساب، النوع الاول، يتمثل في التعاطي التقليدي، الدراسة، الكتاب الفني، أما الثاني فيعتمد على الاطلاع والمشاهدة والتعرف على آخر التجارب العالمية. نحن للأسف حرمانا من الامر الثاني، والذي يؤشر بشكل اساسي على المنحى الخاص للتجربة الفنية وجدتها، الفنان العراقي ونتيجة لظروف المت به ظل رهين ثقافة محلية محاصرة، وكانت اية محاولة للسفر والاتصال بالآخر أو للاطلاع على تجربة وكتاب فني جديد يشكل معضلة في حد ذاتها، مثل هذه التفاصيل تؤثر بشكل واضح في طبيعة ونوع المشهد التشكيلي ومنجزه.

لطالما ابعد الفنان العراقي عن التفاعل مع المستجدات الحاصلة للفن في العالم، وهذا ما حد من تطلعه، بل حتى من استخدامه لخامات ومواد جديدة لتنفيذ عمل فني معاصر، كذلك ظل الفنان العراقي ولسنوات تحت تأثير العوز المالي، مما أدى إلى أن يحكم تجربته بأسباب التسويق وحالات العرض والطلب، لذا كان يخشى محاولة التجريب وتأسيس اساليب طليعية خوفاً من استبعاده خارج مجال الطلب الاقتصادي.

في منتصف الثمانينيات ظهرت عدة تجارب، كانت مؤشرة بفعل طروحاتها الفنية والنوعية، ولكنها تراجعت في منتصف التسعينيات لاسباب عديدة، ليس أقلها العامل الاقتصادي، ولكن على الرغم من هذا، لا تبدو مثل هذه الاساليب مبررة، لأن على الفنان ان يكون جاداً وطليعياً دائماً في منجزه، وان يسعى بدئب نحو التجريب واستخدام الخامة وافتراض الموضوع الذي يؤهله كي يكون متفرداً دائماً.

كريم سيفو: منذ الثمانينيات كانت ثقافة الآخر غائبة عن الفنان العراقي، بفعل الحروب والطبيعة المنغلقة للنظام سابقاً، كان هنالك شبه انقطاع تام عن الخارج، امام هذا الامر اصبح الفنان العراقي فقيراً لجهة ثقافة بصرية معاصرة، تحاور ثقافة اخرى وتغتني بها، من هنا كان الفنان يعيد انتاج خلاصات تجارب ظهرت في الستينيات والسبعينيات، منجز الثمانينيات والتسعينيات مثال لذلك. ولكن حتى مثل هذه التجارب لم يكن بمقدورها ولا نستطيع نحن ايضاً عدها اتجاهاً جمالياً عاماً، عدا حالة الحصار التي فرضت على الفنان انجاز اعمال تتوفر فيها شروط التسويق للاستفادة من المردود المادي.لقد كان كثير من الفنانين على اعتقاد تام بان اعمالهم لا تمثل تطلعهم الابداعي، وهذا ما جعل صياغة تجربة متميزة بشروطها المعاصرة مهمة صعبة.

هنالك رؤية فنية عامة امتدت لأكثر من نصف قرن، اسس لها الراحل "جواد سليم" تمثلت باستعارة المعطى التراثي ومعاملته بقدر من الحداثة لغرض انجاز عمل فني ذي صلة بالبعد الاجتماعي والثقافي للفنان، هذه الرؤية، يجدها الكثيرون هي الدافع الوحيد لطروحات جمالية وابداعية تنشد التجديد؛ ولكن الا نجد اننا في حاجة لاستحداث رؤية اكثر معاصرة، وفي ظل الظروف والتحولات التي نحياها، قادرة على مواكبة ما تحقق حتى الآن في الفن العالمي المعاصر؟

ماهر السامرائي: ظل الفن العراقي ولسنوات طويلة، يحتفظ بملامح شكلية وثقافية نستطيع القول انها متشابهة، بعض الذين تخرجوا في كليات ومعاهد الفن كانوا يقلدون اساتذتهم الذين احتفظوا بدورهم بتجارب لا تخلو من التكرار، هذا ما خلق واقعاً فنياً ارتهن إلى مكتسبات سابقة وتقليدية، تعززت مثل هذه الرؤية في ظل الظروف غير الطبيعية التي كان يعيشها العراق منذ اكثر من عقدين. اتجه البعض إلى الفن الواقعي، لأنه كان مطلوباً لاغراض التسويق والمتاجرة، بل تم التعامل مع الفن باعتباره سلعة مطلوبة بشروط معينة لغرض ترويجها، حتى ان هناك للاسف جيلاً من الخريجين الموهوبين عملوا في سوق استنساخ في اللوحات الاستشراقية، لكونها مرغوبة من دول الجوار. امام واقع ملتبس كهذا، كيف يمكن استحداث منجز يضاهي تجارب الفن العالمي. هذا الامر لم يتحقق للفن العراقي لأنه كان معتقلاً من قبل نظام وسياسة حمقاء وظروف بالغة التعقيد.

لنأخذ مثلاً فن "الكرافيك"، البعض يتحدث الآن بانه اصبح فناً منسياً، بسبب شحة المواد وصعوبة الحصول عليها مع قلة المهتمين بهذا الفن.

إنك لا تستطيع بهذا ان تؤسس لتجارب طليعية في الوقت الذي ما زالت اعمالك تنفذ نجاحات ومواد تقليدية. افترض ان الفنان العراقي يحتاج إلى الكثير، من ثقافة جديدة ومشاهدة واتصال مع الآخر ومثابرة كي يخرج من حالة التقليد والتكرار التي اضطر إلى البقاء فيها، باتجاه اهتمامات جمالية اكثر حداثة وحرية.

كريم رسن: لو قمنا بمراجعة لتاريخ الحركة التشكيلية في العراق، ومنذ بدايات تأسيسها حتى في عقودها الاكثر زهواً، لاتفقنا على ان تجارب فناني الخمسينيات مثلاً لا تشبه تجارب الفنانين الستينيين، فالآخرون كانوا اكثر حداثة نتيجة استفادتهم من معطيات الفن الاوربي. لا اتفق على وجود رؤية كان جميع الفنانين ينضوون ويشتركون في صياغتها، ولكن كانت هنالك احاديث ولقاءات واهتمامات مشتركة بين الاجيال، بعض الفنانين استفاد من فكرة التراث المتمثلة بالفن الرافديني والموروث الشعبي ورسوم الواسطي، فيما كان فنانون آخرون اكثر اتصالاً بتجارب الحداثة السائدة في الفن العالمي، ولكني اتفق على ان المشهد التشكيلي العراقي الآن فقير بالتجارب الطليعية وما بعد الحداثية.

كريم سيفو: افترض ان جدلية التراث والمعاصرة لم تتحقق بالمستوى نفسه لدى جميع الفنانين، لقد نجح البعض منهم في تمثلها والاستفادة من معطياتها مثلما حصل عند "جواد سليم"، فيما لم ينجح البعض الآخر. لا يمكن لنا القول تجاه تجارب استعارت وقلدت مفردات ورموز رافدينية واسلامية وانها استطاعت تمثل الموروث العراقي بصورة صائبة. اجد ان العلاقة المتشابكة بين الموروث والمعاصرة تحتاج إلى إعادة قراءة من قبل نقاد الفن والفنانين أنفسهم، حتى التعامل مع مفهوم الحداثة، لم يتم بالصيغة التي يتحدث عنها البعض. فالحداثة المتداولة لدينا هي نوع من حداثة تعود إلى الخمسينيات والستينيات. خذ تجارب بعض الفنانين الشباب التي تأثرت بمنجز الفنان "شاكر حسن آل سعيد" مثلاً، أما مفهوم ما بعد الحداثة، فالامر في تصوري يعتمد على ذهنية مغايرة، وثقافة وواقع فني يفترض تجارب من نوع آخر.

سؤال اخير: كيف يمكن قراءة العلاقة بين المؤسسة والفنان العراقي في المدة القادمة..؟

ماهر السامرائي: خلال المدة السابقة، حينما يتم الطلب من الفنانين المشاركة في بعض المعارض الرسمية التي تنظمها المؤسسة، كان البعض منهم يستجيب خشية عدم السماح لهم بالايفاد إلى الخارج للمساهمة في نشاط فني، فيما كان البعض يتملكه هاجس عدم نكران الجميل لما مضى من هذه المؤسسة، وهناك آخرون عزفوا عن العرض فيها إلا في قاعات العرض الاهلية أو في معارض تقام خارج البلاد؛ في الوقت الراهن لا استطيع ان اتبنى وجهة نظر تجاه المؤسسة الفنية، لأن هناك الكثير من عدم الوضوح لدورها، وعلاقتها مع الفنان، ربما في الوقت لاحق نستطيع معاينة مثل هذه العلاقة والحكم عليها.

كريم رسن: افترض ان الدور الذي على المؤسسة ممارسته في المدة القادمة، هي في ان تكون مهنية، ومنجزة، غير مسيسة، وليست منحازة لفنانين ما واتجاهات فنية معينة، بل عليها ان تصبح مؤسسة ثقافية ترى الفن في العراق وتروج له بصفة عامة، واقامة علاقة اكثر تفهماً مع الفنان، دون تلك الشروط التي كانت تتعاطاها في السابق. في رأيي الشخصي إن الفنان لا يحتاج إلى المؤسسة بل العكس هو الصحيح، اتمنى ان يكون هنالك دور جدير تمارسه المؤسسة بدافع ثقافة جديدة تغني الحركة الفنية في العراق.

كريم سيفو: العلاقة السابقة بين الفنان والمؤسسة، كانت قائمة لضرورة اقتصادية ومعنوية، وحينما وجدت قاعات العرض الاهلية، هجر اغلب الفنانين تلك المؤسسة لكونها لم تساهم في تأسيس وانضاج واقع متميز للمشهد التشكيلي، لقد كانت عاجزة حتى عن تأكيد مهمتها في اشاعة ثقافة فنية كما الحفاظ على المنجز الابداعي العراقي، من هنا، نتطلع إلى دور اكثر فاعلية لها في المدة القادمة، يتمثل في اعلاء قيمة الفن العراقي والحفاظ على تاريخ ومنجز الحركة التشكيلية من خلال متحف فني وطني.

عمل للفنان كريم سيفو

عمل للفنان كريم رسن

ماهر السامرائي

كريم سيفو

كريم رسن

عمل للفنان ماهر السامرائي